

سخرية سياسية في قلب برلين

خدعة فنية لحض ألمانيا على دعم أطفال سورية

□ برلين - علياء الأتاسي

■ انشغلت ألمانيا على مدى اليومين الماضيين بمناقشة مشروع دعم إنساني استثنائي لسورية نسب إلى وزارة شؤون العائلة الألمانية. وبمجرد الإعلان عن مشروع الدعم الضخم الذي أطلق بمبادرة من وزيرة شؤون الأسرة الألمانية مانويلا شفيغ حتى تحول إلى مادة ساخنة للنقاش وإلى خبر عاجل تناقلته شبكات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام المحلية وأوساط الجالية والمهتمين بالشأن السوري في ألمانيا.

ويقضي المشروع الذي تبنته الحكومة الاتحادية عقب مخاض عسير بتأمين حياة أفضل لواحد في المئة من عدد الأطفال، ضحايا الحرب في سورية أي ما يعادل خمسة وخمسين ألف طفل عبر نقلهم للعيش في ألمانيا لفترة مؤقتة تنتهي مع انتهاء الحرب. ويقوم البرنامج على دمج الأطفال السوريين في عائلات من أصول عربية تقطن في ألمانيا أو عائلات ألمانية مفتحة على الثقافة العربية. وتتكفل العائلة الجديدة بشكل كامل برعاية الطفل وإعادة تأهيله وتعليمه: أي تعويضه عما حرم منه خلال السنوات الثلاث الأخيرة التي عاشها في سورية أو نازحاً على حدودها.

ويتضمن برنامج حملة «ألمانيا لإنقاذ ٥٥ ألف طفل» بنوداً وتفصيل كثيرة أوردتها وزارة شؤون العائلة على موقع إلكتروني خاص، تابع لها، بحيث يمكن للمهتمين أو الراغبين في المشاركة الاطلاع على كافة الشروط التي يتوجب عليهم استيفاؤها، لاستقبال طفل سوري في منزلهم.

ويعرض الموقع صوراً لأطفال سوريين التقطت لهم في حلب وهم يحملون لافتات كتب عليها شكراً لألمانيا إضافة إلى صور «راعية المشروع» الوزيرة شفيغ، مستعرضاً إحصاءات دقيقة لعدد الأطفال الذين تبنوا

بفعل الحرب أو أصيبوا أو شردوا، مع أماكن توزيعهم على الخريطة السورية وفي بلدان الجوار.

يتيح الموقع أيضاً البدء بأول خطوة فعلية على طريق «انتشال» الطفل من بؤر الصراع، من خلال تعبئة استمارة بالبيانات الشخصية والإجابة على أسئلة أولية وتوقيعها وإرسالها من جديد للوزارة، لتقوم الأخيرة «بغربة»

الطلبات والشروع في الإجراءات القانونية والإدارية اللازمة لإحضار الطفل إلى ألمانيا. وفي فيلم مصور أنتج خصيصاً للترويج للمشروع تشرح وزيرة شؤون العائلة مانويلا شفيغ أنها استوحيت الفكرة من مبادرة كانت بريطانية قد أطلقته إبان الحرب العالمية الثانية حين سهلت إجراءات استقبال وإيواء أحد عشر ألف طفل يهودي من الذين تبنوا أو

هجروا من ألمانيا على يد النازية. وتقديراً لهذا الموقف نظمت مجموعة من الناشطين تظاهرة تأييد للوزيرة شفيغ أمام مكتبها وسط برلين حيث ارتصفوا الشارع بباقات من السوردي ودمى للأطفال وحلوى في التفاتة من قبلهم للتأكيد على أهمية «تحرك» ألمانيا - أخيراً- في تقديم دعم إنساني يليق بمستواها كدولة ذات إمكانيات اقتصادية ضخمة وباعتبارها فاعلاً سياسياً هاماً.

واستدعى تجمع المتظاهرين وحضور وسائل إعلام عالمية خروج الوزيرة إليهم لتؤكد أمامهم بأن ألمانيا تتحمل مسؤولية أخلاقية في دعم السوريين وأن جهودها مستمرة في هذا الإطار. حبذا لو كان ذلك صحيحاً. فباستثناء الحضور الإعلامي الضخم، كل ما تقدم هو نقد فني ساخر من الموقف الألماني وحملة محكمة التنظيم للضغط على حكومة ميركل واستفزائها. وحتى الوزيرة التي خرجت على المتظاهرين لم تكن سوى ممثلة تقمصت شخصية شفيغ.

تقول سيموني كانتالا، من مركز الجمال السياسي صاحب العمل الفني والتي تقمصت دور الناطقة الصحافية الرسمية للوزيرة: «صحيح أن كثيرين استهجنوا نقدنا السياسي الساخر باعتباره يولد شعوراً من الإحباط لدى السوريين في الداخل لكننا نرد بالقول بأنه لن يرقى أبداً إلى الإحباط الذي شعر به السوريون على مدى السنوات الثلاث من خذلان ألمانيا وأوروبا لهم».

وتختتم سيموني «بأن السخرية السياسية بتوظيف مشروع وهمي، ليست هدف مبادرتنا إنما قصدنا بها استفزاد أصحاب القرار في ألمانيا لتحفيزهم ربما على تمويل مشاريع واقعية كدور الأيتام والمدارس حيثما وجد أطفال سوريون شردتهم الحرب».



ربها

الفتاة التي أوقعت بالشيخ

لم تصدق ما حدث، لكنه حدث وللأسف، فلربما نعتقد أنهم جهلة، فإذا بهم لصوص يريدون أن يسرقوا «الغلة» لا غير. لم نكن نفهم كيف لا يفهم هؤلاء أن عمر بن الخطاب الذي عين الشفاء بنت عبد الله محتسبة على السوق، أي في منصب وزيرة تجارة، لم يفهموا أنه من التطور الطبيعي والحضاري للبشرية بعد ١٤٠٠ عام أن تشارك حفيدات الشفاء بنت عبد الله في مجلس الشورى، ويترافعن عن بنات جنسهن في القضاء، وأن يطببن، وأن يبعن في السوق، وفي عمل شريف يقين شر الحاجة، وأن يحصلن في ظل دولة عمرها قارب ١٠٠٠ عام على أنظمة تقين التحرش، وتحفظ حقوقهن طفلة وزوجة.

اعتبروا كل نظام يسن أو يطرح للدرس تحت قبة «الشورى» اعتداء على الأعراض، في منطق مقلوب لا يعقله إنسان، فهم مثلاً حاربوا النظام الذي أقره مجلس الشورى لحماية النساء من التحرش، بحجة أنه يشجع مفهوم الاختلاط، وهم بهذا ينكرون أن الاختلاط هو أصل الحياة العامة، ويريدون أن يقرروا أن المرأة التي تختلط بالرجال سواء بعملها في المستشفى مثلاً، أم في الأماكن العامة... «حقها ما جأها»، أي تستحق أن يعترض طريقها من عنّ له ذلك، ويتحرش بها. وخير للمجتمع أن يشعر بالرعب، فترتد نساؤه، ويقلق رجاله إن خرجن من المنزل، ولا تدري في أية شريعة جاءت هذه الأفكار، فحتى في شريعة الغاب لم يكن الاعتداء ابناً للتحرش، بل كان غريزة للشبع المادي.

كثرت مطالب المحتسبين بلا منطق، في عالم ينفتح أكثر باتجاه المعاصرة والتخضر وخطر الانغلاق، ظنهم البعض جهلة محدودي المعرفة، لا يحيطون علماً بما حولهم، أو أنهم أسرى عادات ألفوها وترعّبهم مغادرتها.

رفضوا كل محاولة لإقناعهم بأن حياة المدن ومجتمعاتها خليط من التعايش الثقافي المختلف والمتعدد، لكنهم يرونها طبيعة مرضية تهدد الأخلاق وتفكك المجتمع، وأنه لا أمان ولا ضمانة للمجتمع إلا بهم!

لم تستطع النساء طوال أعوام أن يرفعن الضغط المستمر عليهن، لا بالكتابة ولا بحسن التفكير، ولا حتى بالوصول إلى مجلس الشورى، فحتى يومين مضياً وجدنا بعض المحتسبين يفترون البسط أمام قصر خادم الحرمين ليحذروهم من خطر الابتعاث، ومن دخول المرأة مجلس الشورى، ومن منح وزارة العمل المرأة حق العمل في محال بيع مستلزمات النساء، بأن تبع المرأة للمرأة ملابسها وزينتها، حتى جاءت فتاة صغيرة وأوقعت بأحد المحتسبين منهم، الذي اشتهر بمعاداة «اتفاقية سيداو لحقوق المرأة»، ووصفها بأنها كلها دعوة لنشر الفاحشة، وكل نظام يحمي المرأة تغريب، فدخلت عليه من حيث أُن، واتصلت به فواعدها وواعده.

سجلت الفتاة المحادثة الهاتفية التي دارت بينهما قبل أن يراها، وكانت هي أكثر احتشاماً منه، فقد خلع المحتسب ثيابه وتقواه، ووقع في الفحش في الحديث، وهو يواعد نفسها به في اللقاء. نشرت الفتاة المكالمة في عالم التواصل الاجتماعي، وشهد عليها خلق كثير، ولم تكف الفتاة بعد أن أنكر الشيخ المكالمة في العلن، بل اتصلت به كي تسجل له مكالمة أخرى يسألها فيها كيف انتشر حديثه؟ فكان إقراراً منه بأنه صاحبه، ثم هدها بالقضاء، وهي تذكره بعد أن لقنته درساً بأنه كان يمكن أن يغرب بها، ويوقع بها لو أنها صدقته.

لقد تفوقت الأنثى بمكرها وذكاؤها كما في الحكايات الشعبية التي قرأناها في الصغر، على الشيخ الخائف من حقوق المرأة ومن نظام حمايتها، ظناً أن لا شيء يحمي المرأة سواه.

جاءته فتاة بعمر ابنته كي تلقنه الدرس بأن الأنثى التي سُجنت واستضعفت وعُزلت ليؤمن شرها، أكثر تفوقاً منه، وأنها تستطيع الوصول إلى ما تريد بطريقة يسيرة.

تظنون أنه يمكن التغريب بها، وها هي غرّرت بكم، فالأنثى التي ظننتم أنها لّ و خرجت - تتعلم وتندرب وتعليل نفسها - فستأكلها الذئاب... أكلتكم، وظننتم أنها هي التي تقع في الكلام المعسول لأنها عاطفية وبلا عقل، لكنها أثبتت أنكم أنتم من يقع مع النسمة الطائرة بلا عواطف ولا عقل، وهي تتفرج عليكم وتضحك. لقد أثبتت للناس أن الذي ادعى أنه سيحمي المرأة هو أول من يأكلها، وأن الوحوش التي حذروا منها، ليست سواهم!

بدرية البشر

balbishr@gmail.com

